



فكلا الموقعتين جلها من القبائل البدو ، الذين يرون أن وجود الدولة جاء بجهدهم العسكري والأمني وبكثافتهم السكانية. ورغم ذلك صاروا مهمشين سياسيا وتنمويا واقتصاديا . فالإدارة العليا في الدولة خلوا من (المتطوعين والمقتدرين وأصحاب المؤهلات العليا منهم كما بينت ذلك في كتابي حول النخب السعودية الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية) .

ثم تلت كل ذلك الاحتجاجات على وجود القوات الأجنبية في الحروب الخليجية منذ عام ١٩٩٠ .

وفي عهد الملك سعود قبل ذلك واجهت الدولة تدهورا اقتصاديا حيث عجزت الخزينة عن دفع مرتبات الموظفين لمدة تسعة أشهر ونيف . مما أدى إلى استياء بين أوسع فئات المجتمع ، أدت إلى ظهور معارضة تمثلت بالكوادر المثقفة من القوات المسلحة والكوادر المدنية وعمال شركة أرامكو من السعوديين غير الراضين عن استغلال الأمريكيان لهم في شركة أرامكو وهضمهم لحقوق العمال السعوديين والعرب . أما معارضة المثقفين فتبلورت في تشكيلهم تنظيميا ديمقراطيا ثوريا سريرا ، دعوه ( جبهة الإصلاح الوطني ) وأعلن عدة أهداف تحدثنا عنها بالتفصيل في كتابنا ( النخب السعودية ) . وفي ذلك الوقت تم تأسيس صحيفتي الفجر الجديد ، وصحيفة أخبار الظهران في المنطقة الشرقية . وقد قامت الحكومة باعتقال الجبهة وقلبت الصحيفتين .

كما أسست منظمة تلاميذ المدارس في القصيم في تلك الفترة . وقد تستغربون أن من مطالبهم الرئيسية حل هيئة الأمر بالمعروف . هذا قبل ستون عاما .

وقد جرت اشتباكات بين التلاميذ وهيئة الأمر بالمعروف في بريدة . وكانت من مطالبهم كذلك إصلاح التعليم وتأسيس جامعات . وذلك في الأربعينات من القرن المنصرم .

وفي عام ١٩٥٦ قام الملك سعود بزيارة المنطقة الشرقية واستقبلته معارضة منظمة بشعارات مناهضة للإمبريالية ومطالبة برحيل القاعدة الأمريكية . حيث صدر مرسوم ملكي بتجريم المظاهرات والمعاقبة عليها بالسجن لمدة لا تزيد عن ثلاث سنوات .

وما زالت المطالبات مستمرة وفي خلال الخمس سنوات الأخيرة ظهر أكثر من بيان وعريضة إضافة إلى المقالات تطالب كلها بالإصلاح وتؤكد على ضرورته .

وفي التجربة السياسية السعودية مع كل المعارضات يتضح أن القيادة السياسية السعودية تنجح في وأد كل المقاومات، مما يعطيها قدرة على تمكين نفسها. وقد يكون من ضمن ذلك التمكين إعطاء قدر ضئيل من المطالب . لعل أهمها مطالب المتشددين من السلفيين فإن كانوا قضاوا على حركة جهيمان فأنهم تبنوا مطالبهم بتمكين المتشددين مما سبب تأزم مع الداخل ومواجهة مع الخارج لعل أهمها أحداث ١١ سبتمبر .

وملف الإصلاح في السعودية من صنف السهل الممتنع . فعند الأزمة الداخلية أو الخارجية تخرج الحكومة ملف الوعود بالإصلاح حتى تهدأ العاصفة ثم تعود الأمور كما كانت ( حليلة إلى عاداتها القديمة ) .

ففي عهد الملك عبد العزيز أنشئ ديوان المجاهدين لاستيعاب المحاربين القدامى كنتيجة لثورة السبلة ، وعلاجا لما ذكرنا سابقا . ومع خلاف الملك فيصل مع الملك سعود ، وعد فيصل بإصلاحات سياسية لم ترى النور بعد توليه الملك . وفي حرب الخليج الثانية أصدر الملك فهد أنظمة للحكم والمناطق . ولكن لم يغير ذلك من الأمر شيئا .

### المعارضة بعد ١١ سبتمبر

وبعد أحداث ١١ سبتمبر وظهور عرائض كثيرة تطالب بإصلاحات واسعة . قامت الحكومة بتأسيس مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ، باعتباره أسلوب سياسي فعال لتحقيق الإصلاح . إذ راح المركز يطوف مدن المملكة مدعيا أن هدفه الإصلاح ومدعيا أنه يترجم أفكار المواطنين إلى واقع ملموس . وفي ختام كل لقاء تنتهي النتيجة برفع برقية إلى الملك بالشكر والعرفان ثم تطوى صحائف اللقاء وتأخذ طريقها إلى أرشيف المحفوظات . وإذا حصل إصلاح فهو في زيادة الرواتب للعاملين في الدولة ، تلتهمه زيادة الأسعار التي تلي زيادة الدولة للرواتب مباشرة . مما يزيد من شدة وطأة الحاجة على الذين لا يعملون في الحكومة . وإذا كان هناك مشاريع للتنمية ، وهي لا بأس بها ، فتتفذيها محصورا في شركات عائلية محدودة . أو أسماء واجهات لأصحاب النفوذ في الدولة . مما جعل صغر الطبقة الوسطى خصوصية سعودية ، رغم إنفاق المليارات سنويا .

ونستطيع أن نذكر انتخابات مجالس البلديات وهي انتخابات نزيهة ولكن تأثير المجالس البلدية أقل من تأثير أصغر موظف في جهاز البلدية ، و التي من المفترض أن المجلس البلدي هو المشرع والمراقب على التنفيذ . ونذكر مشاركة النساء في مجالس الغرف التجارية اللائي لا يجتمعن مع الرجال في جلسة واحدة إلا عبر التلفون ورغم ذلك فصوتهن عوره .

ولو دبرت هذه الملايين المصروفة على الحوارات والدعاية السياسية والعلاقات العامة للخارج لتحقق على الأقل الإصلاح التنموي الذي قد يلطف المزاج الاجتماعي إلى حين .

ولكن ما حققه الحوار الوطني هو فرز الشعب السعودي إلى تيار سلفي تشظى إلى تيارات شتى . من الجهادية السلفية إلى التي ترى الطاعة للسلطان حتى لو جلد ظهره وأخذ مالك .

وأفكار مثقفة مبعثرة يدعونها السلفيون تيارات ويقسمونها إلى حداثة وليبرالية . كل هذه التقسيمات ترفع صوتها في المساء حتى يخيل للسامع أن الزحف المليوني سيسبق طلوع الشمس بقليل . أما في الصباح الباكر فالكل يهرول إلى الطاعة والتنفيذ . وأقصى حيلة الجسور منهم مقال يقضي وقتنا أكثر من وقت كتابة المقال في المراجعة والتمحيص ، خوفا من رئيس التحرير . فهو يخاف رئيس التحرير أكثر مما يخاف أحد القيادة السياسية . فيستخدم ذكائه الخبيث لتميرير المقال ل للنشر وتلك غايته وأقصى أمانيه .

والتنظير في المؤلفات السياسية نادرة جدا . وقد تظهر المؤلفات في القصص التي يدعونها روايات ، وهي كلها أو في مجملها تتحدث عن المسكوت عنه والذي يمارس أكثر من الممارس في المجتمعات المنفتحة بكثير . أو بقيادة المرأة للسيارة أو كشف وجهها بالأسواق أو السفر بالطائرة بدون ولي محرم . وتلك التيارات السلفي والمتقف نشاطهم السياسي في مناكفة بعضهم البعض وسلاح كل منهم على الآخر هو السلطة . فالسلطة تطلق يد المتشددين ، في تكفير المتقفين واتهامهم بالمعاصي وتفتح الصحف فسيحة للمتقفين لمهاجمة المتشددين واتهامهم بالتزمت والتشدد . والحكم و القاضي للجميع هي السلطة . فإذا ذهب السلفي إلى السلطة ليشتكي المتقف للشك في دينه وجد المتقف قد سبقه يشتكي السلفي لأنه أخر البلد وخلق مشكلة للدولة مع الغرب وكل خيوط اللعبة بيد اللاعب الأقوى الذي هو ولي الأمر ( ويا قلب لا تحزن وارقد إن عليك ليلا طويلا ) .

أما القسم الثالث الذي أفرزه الحوار فهو المتقفين من الشيعة و رغم نشاطهم الحركي وثقافتهم حصروا مشاريعهم الإصلاحية في حرية العبادة المذهبية وممارسة الطقوس المذهبية . باستثناء بعض المطالب الوطنية ، تمثلت في ( رؤية لحاضر الوطن ومستقبله ) و ( شركاء في الوطن ) . وكل هذه التيارات بشتى آيدولوجياتها بعيدة كل البعد عن مقتضيات المرحلة في المنطقة لبعدها عن المشروع الإصلاحي الوطني ، والاتفاق على المشتركات الوطنية والاقتصادية والسياسية والتنمية .

إن السجال بين الأطراف لا يكتشف الصواب ، بل التعصب ضد ثقافة الآخر . إننا في هذه الحالة نستدعي الصراع العثماني – أصفوي . والسؤال الكبير الذي علينا جميعا الإجابة عليه ، لماذا المذهب هو التعبير ألمطلبي بدلا من الحقوق المدنية والمشاركات الوطنية التي يجب أن نلتف حولها جميعا ؟

إن السعودية بحاجة إلى هندسة اجتماعية في الحكم والإدارة التعددية المجتمعية لعل أهمها تعزيز مبدأ المواطنة . من خلال العدل في توزيع الثروة والسلطة والمشاركة الفاعلة في الإدارة العليا والوسطى في الدولة . فكل مجتمع تنعدم فيه العدالة الاجتماعية يكون مولد للنزاع والشقاق . فالنجاح في إدارة التعددية المجتمعية يعزز الهوية الوطنية والشرعية السياسية للدولة .

### القيادة السعودية

القيادة السعودية تقف ضد ، من كل الثورات العربية خوفا من حمى العدوى وتشرب السعوديين ثقافة المظاهرات والاحتجاجات . فإذا تحولت الدول العربية المتوسطة مع الرافدين وتجاوب لها باب المنذب على أنظمة جديدة بمفاهيم ديمقراطية شبابية وبمطالب يستعص على الأنظمة الوراثية التأقلم معها . ولاسيما أن من بينها ثورة مصر . ودول الخليج لازالت تحتفظ ذاكرتها ثورة ٥٢ وتأثيرها في كافة المنطقة .

القيادة السعودية تدرك حجم النتائج لهذه الثورات وتقلق مضجعا ولكنها لا تستطيع أن تفعل شيئا فهي منقسمة على نفسها فريق ( إلى يمين متطرف ) يرى أن الإصلاحات تفتح شهية الشعب السعودي على التدرج بهم إلى الملكية الدستورية وهذه دونها خراط القيادة ( فهم يموتون ولا يرون أنفسهم ملكة السويد فهم يرون الشعب بعيون قبل سنتين عاما ) . وفريق وسط معتدل

على رأسهم الملك يرى أن الإصلاحات تستدزم بقاء العائلة فهم يرون الشعب بعيون ما بعد الثورات العربية وهناك أموراً أخرى داخلية فيما بينهم ، لا أرى الدخول في تفاصيلها . أدت إلى انسداد التفكير في إدارة المجتمع وفق المتغيرات المعاشة في العالم العربي .

نحن لم نضع أيدينا حتى الآن على مشروع دولة . بل هناك مشروع عائلة حاكمة تتأرجح حسب المد والجزر للشارع السعودي. و في القنوات المعلوماتية . وترصد بدقة ردود الفعل الخارجي أكثر من الداخل .

القيادة السعودية وقفت مع رئيس اليمن دون بقية الرؤساء الذين طاولتهم الثورات وانحيازها لعلى عبد الله صالح لأسباب سياسية. ويعود ذلك إلى موقف الرئيس من الحوثيين المتدخلين حدودياً مع السعودية، وللسعودية حيثيات سياسية في هذا الصدد:

- ١- منطقة صعده يقطنها قبائل يمنية سعودية في آنٍ واحد لا تستطيع أن تميز اليمني من السعودي ولا أن تسمهم وسم الجمال . فهم أخوان وأبناء عمومهم وعشيرة . متداخلين بالسكن والجغرافيا . مما يسهل العبور والتسلل والتهديب ومما يصعب السيطرة عليها .
- ٢- الحوثيون يرفعون شعار الطائفي مما يعطي إيران قدم راسخة في اليمن خاصة السعودية.
- ٣- القضية الحدودية وقد ثبتت قبل مدة بسيطة ، وتخشى السعودية من أي نظام جديد أن يلغي الاتفاقية. ولاسيما أن المطالب اليمنية المتطرفة تتوغل إلى الطائف في عمق الجغرافيا السعودية.
- ٤- في غياب نظام صالح ستقوى القاعدة في اليمن . والسعودية استطاعت أن تحيد القاعدة أمنياً عن المملكة .

لقد أسقطت الثورات العربية الفزاعات التي ترسلها السلطات الحاكمة بين أونة وأخرى ، حول القبيلة والطائفة والإسلام السياسي والقاعدة والإرهاب وغيرها من الفزاعات التي ترسلها للداخل والخارج .

لقد انصهرت كل هذه الفزاعات في الثورة والمواطنة ، وأصبحت الأمة في رجل واحد وقبيلة واحدة وطائفة واحدة ، وتحولت مطالب المواطنين بألا يكونوا رعايا وسكان بل إلى مواطنين وأصحاب قرار .

### النخب السعودية

لا يوجد في المجتمع السعودي نخب فاعلة سواء في الجماهير أو من القيادة السعودية. إلا التيار الديني السلفي ومن يدعمه من القيادة السياسية لتقوية مركزه على الفريق الآخر من الأسرة الحاكمة هذا من جانب واحتواء التيار السلفي من جانب آخر .

فلا هناك مجتمع مدني ولا أحزاب ولا كتل مؤثرة ولا تيارات مثقفة أو تجارية . و لا دور يذكر لمشايخ القبائل رغم قبلية الدولة . ولكن هناك كتاب مقالات في الصحف ورغم أن أكثرهم أساتذة جامعات فلا يصل تأثيرهم حتى إلى الصفوف الجامعية .

## الشباب

الثورات العربية أحدثت في الشباب السعودي وعيا سياسيا عن عملية الإصلاح وهناك طاقات شبابية كامنة تملك إبداعات وتنظير جيد . يلمس ذلك من خلال المواقع وشبكة المعلومات . هذه الطاقات تقتقر إلى رموز أو مجتمع مدني يطور ذلك الوعي ويعقلنه لإبراز المطالب للمجتمع والعائلة الحاكمة .

ليس هناك مساطر لقياس انعكاس الثورات العربية على المجتمع السعودي . فخریطة الرأي العام في السعودية تقتقر إلى صحافة حرة وإلى مجتمع مدني ، وإلى مراكز للرأي العام والبحوث ، وإلى ديوانيات على النموذج الكويتي . مصدر المعلومات قمة الهرم ، ولا يوجد ردود صاعدة إلى قمة الهرم . والردود المتوقعة هي ردود البيروقراطية الأمنية و الاستخبارات على شتى تخصصاتها ومعظمها يعطل الصالح ويمرر الطالح .

الجمهور يرقب من يبدأ ليكون هو العاشر وليس الأول . أفراد المجتمع كل يود أن يقوم الآخر بالنيابة عنه . التضحية حتى بالصوت باهتة جدا . ويحسبها بحساب التاجر والتغيير لن يقدم لهم على طبق من ذهب . الحرية لها ثمنها والديمقراطية لها تكاليفها والربح على قدر المخاطرة .

هناك من الشباب وهم قلة من بداء يشعر بأهمية أن يكون الشباب جزء من العملية السياسية وليس على الهامش كسائر المجتمع الذين أكتفوا بالهامش . هل هذا تفكيك سياسي أم هو واقع مجتمع ؟

لقد تشرب المواطن السعودي كأخيه في الخليج ثقافة المصطلحات السياسية المتعلقة بالديمقراطية وحقوق الإنسان والمواطن الحر ، والدستور والقانون ، والانتقال الديمقراطي ، واستقلال السلطات ، والتوزيع العادل للثروة ، والتعددية السياسية ، ومحاربة الفساد و المناطقية والقبلية ، وتفكيك عصابات الثروة والمقاولات والمناصب العليا ومجالس الشركات وحرية الصحافة ومنابر الإعلام وحرية التفكير والتعبير وحرية الصوت العالي . وعدم فرض الرقابة على المواقع الكترونية ، وكرامة الإنسان ، وتعزيز المواطنة ، وتوسيع الحكم المحلي ، وديمومة التنمية وتعزيز سلطة القضاء واستقلاليتيه ، وتعزيز دور مؤسسات الرقابة وحق الناس في التأمين الصحي والتعليم المجاني وحرية المذهب والمعتقد وألا يحمل الناس على مذهب واحد . كل هذه المقولات أصبحت ملازمة محكية في المجتمع الشبابي . في المجالس والمنتديات .

علينا أن نعلم أن الثورات العربية المعاصرة لم تكن بدافع المثقفين ولا المفكرين ولا المجتمع المدني و لا كل المؤسسات المدنية . ولا الجيش ولا الخارج ولا كل المؤثرات التقليدية .

الدافع الحقيقي هي الأنظمة ذاتها التي أوغلت في غياب الفساد و الاستبداد و الاستهانة بالشعوب لدرجة لم يكن في مقدور الشعوب تحملها . فكانت ردود أفعالها كبت متراكم في الداخل فانفجرت كالبركان في وقتها وعلى سجيبتها ولآت حين مناص .

وعلى كل فلا يوجد ما يطمئنا أننا في مأمن من أحداث المنطقة . و لا يمكن الركون إلى الهدوء الظاهر الذي يكمن خلف خريطة الانتشار الأمني الواسع .

الأنظمة في الخليج والسعودية من أكبرها، لم يظهر حتى الآن ما يعطينا بصيص من الأمل أنها فهمت شعوبها . وإن كانت مدركة لكل ما يدور حولها إلا أنها لازالت في غيبوبة من هول الواقع من حولها ولم تستفيق بعد . وليس هناك سفينة نجاة تنجيهم مما حصل في الدول العربية ولا أحد يتنبأ ما تخفيه مستقبل الأيام . إلا رضا شعوبها . والهرولة في الإصلاح الحقيقي إلى أبعد مدى . فمن منا يتوقع ما حصل لزين العابدين ولا لحسني مبارك . وما حصل بهذه السرعة وبهذه السهولة وقلة التكلفة .

### فى الختام

ومن رؤيتي الخاصة أنه على النخب الفكرية والثقافية والدينية في السعودية التدرج بمطالب الإصلاح . لعلها تبدأ على النحو التالي :-

- ١- انتخاب نصف مجلس الشورى .
- ٢- تمكين مجلس الشورى من مراقبة موارد الدولة ومصروفاتها، وإعداد الميزانية .
- ٣- حصر حصة العائلة المالكة في وظائف الدولة بالوزارات ذات السيادة فقط . دون التدخل في الوظائف العامة بما فيها إدارة المناطق و دون التزاوج بين السلطة والمال وهذا ما فعله الملك عبد العزيز . مع تحديد ما يكفيهم من مخصصات من قبل مجلس الشورى .
- ٤- يؤسس مجلس للقضاء منتخب من القضاة وكبار العلماء من كافة المذاهب . يعين القضاة ويعزلهم ويصدر قانون للقضاء ولوائحه . ويشرف ويتابع وليس للملك أو الحكومة عليه أي سلطة . وتخصص ميزانيته من الدولة .
- ٦ - فصل الإدعاء العام عن وزارة الداخلية وربطه في مجلس القضاء المقترح . وعدم توقيف أو سجن إلا بموجب حكم قضائي صادرة من محكمة عدلية .
- ٧ - تحديد ميثاق يقيم علاقة جديدة محورها كوننا مواطنين وليس سكان، شركاء و ليس رعايا.
- ٨- التقارب المعيشي بين فئات المجتمع والمناطق . والتوازن في التنمية وتوزيع الموارد في كافة أنحاء المملكة . فقد قال أحد الكتاب الغربيين إذا رأيت المجتمع منقسم إلى أ و ب فانتظر الثورة .
- ٩- أن تكون الإدارة العليا والوسطى حق مشاع لكل القادرين من عموم المواطنين على مختلف فئاتهم ومذاهبهم ومناطقهم . والأفضلية للجدارة والأهلية والاستحقاق والقادرين على إدارة مجتمع التعدد .
- ١٠- أن يكون المواطنون أحرار في خياراتهم العقائدية وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية ، دون أن يطغى مذهب على مذهب آخر. أو عادات منطقة على عادات منطقة أخرى . وأن تكون حريات المذاهب في العبادات فقط .

إن واجب ندوتكم هذه رفع الصوت عاليا لتجنيب مجتمع الخليج نتائج الكارثة في سوريا وليبيا واليمن . فليس كل صاحب سلطة زين و حسني مبارك ولا كل جيش هو جيش مصر وتونس .

إن النصح وحتى المطالبة أو المعارضة في صالح العائلات الحاكمة وهم ركن محوري في مجتمعنا ومن نسيجنا الاجتماعي ولا نريد إلا الخير لنا ولهم . لو كان هناك تفكير حكيم أو رأي سديد أو بصيرة نافذة أو خوفا على مواقعهم بالسلطة .

إن العائلات الحاكمة في الخليج إذا أرادت السلامة من بركان الثورات العربية وهداهم التفكير الرشيد ، فستكون أفكاركم ومثلكم هي نبراسهم وهي حزام الأمان وسفينة النجاة والملاذ الآمن لهم ولنا لأننا جزء منهم وهم جزء منا .

المدينة المنورة ٢٠١١-٦-١٤